روضاتُ الجنّات

في احوال العُلماءِ والسّادات

تأليف

العلامة المتتبع الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الاصبهاني قدس سره

الجزء الأوّل

الدّار الاسلاميّة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولىٰ منقّحة ومصحّحة
١٤١١ هجري ١٩٩١ ميلادي
بيروت

كورنيش المزرعة، بناية الحسن سنتر، الطابق الثاني، هاتف: ٨١٦٦٢٧
فرع ثاني: حارة حريك، شارع دكاش، هاتف: ٨٣٥٦٧٠
ص.ب: ١٤٥٦٨ - تلكس: ٢٣٢١٢ - غدير

بسم الله الرحمن الرحيم

لا مرية لكلّ ذي مسكة أنّ الأمّة برجالها الأفذاذ ، الخائضين في بحار الفكرة المقتنصين شوارد البدائع . الرافعين منارات الإشعاع تسير الأمّة على أضوائهم ، وتستضيء بأنوارهم . فلذا لا ترضى ولا تستطيع أن تنسلخ عن تاريخها كيف وهو وعاء ثقافتها ومنشأ حضارتها ، وبه يعرف الإنسان مكانه من السلسلة الإنسانيّة ، ومكان أمّته من الهيئة الاجتماعية .

والتاريخ مرآة للزمان ، والتراجم مرقاة للمشاركة في المشاهدة ، وأخبار الماضين ملهاة لمن عاقر الهموم ، وما أحسن قول الأرّجاني :

إذا عرف الإنسان أخبار من مضى ... توهّمته قد عاش في أوّل الدهر
وتحسبه قد عاش آخر دهره ... إلى الحشر إن أبقى الجميل من الذكر
فقد عاش كلّ الدهر من كان عالماً ... كريماً حليماً فاغتنم أطول العمر

فلذلك تجد الأمم تتهالك في ضبط تاريخها ، وما يتبعه من أحوال الأجيال الغابرة ، والأمم الدائرة ، والحروب والحكومات والولايات التي نسلت الحقب والأعوام ومضت القرون الخالية ، ولم يكن انبعاث الأمّة الإسلامية في سبر غور التاريخ أقلّ من انبعاث سائر الأمم بل هم أقدمها وأسبقها في الضبط والتدوين فإنهم لا يغادرون صغيرة ولا كبيرة من سيرة النبي (ص) والأئمة من بعده ، والخيرة من أصحابه وهكذا من تاريخهم السياسي ، وأخبار ملوكهم وخلفائهم وأمرائهم وحروبهم وأيّامهم ، ومظاهر مدنيّتهم وحضارتهم وما يخصّ بهم إلّا أحصوه

وسجلوه تسجيلاً دقيقاً ولم يتوانوا عن ضبط تعاليم النبي (ص) وتشريعاته من كلّ جوانبها ، ولم يذروا شاردة ولا واردة . كما نرى ذلك من الواقدي واليعقوبي والطبري وأبي مخنف وغيرهم .

ومن حيث إنّ علم التاريخ يطلق على علوم كثيرة كعلم السير والمغازي وعلم الرجال وعلم الفرق وغيرها كان الناس في الضبط والتأليف على عقائد شتّى : منهم من ألّف في المغازي والسير ، ومنهم من وضع في تراجم الرواة فجمع أخبار الثقات وأحصى الضعفاء والمتروكين والوضاعين والمدلسين كما فعل الشيخ والنجاشي والدارقطني وابن حجر وغيرهم ، ومنهم من ألّف في طبقات شتّى من الناس كالفقهاء والحكماء والأطبّاء والأعيان والشعراء وغيرها .

وقلّ ما يوجد كتاب واحد جامع بين جميع الطبقات نعم قال ابن خلكان في مقدّمة كتابه (الوفيات) ما لفظه : ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أو الأمراء أو الوزراء أو الشعراء بل كلّ من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه ذكرته وأتيت من أحواله بما وقفت عليه ، وكذا سلك مسلكه واقتفى أثره الصفدي في (الوافي) وكذا السيّد الخوانساري في هذا الكتاب حيث قال : وضعته بعد التتبع لأكثر ما قالوا وأطالوا والتطلّع إلى غير الّذي اطّلعوا ونالوا مع قصور باعي عن نيل درج الصنّاع وفتور ذراعي عن النسج بمثل تلك الأوضاع في ترجمة العلماء الراسخين وتذكرة الحكماء الباذخين وتعريف العرفاء البررة وتوصيف الأدباء المهرة من تقدّم منهم ومن تأخّر وذكر اسمه في الفهارس أو لم يذكر ـ إلخ ـ .

وأصبحت الروضات تُعَدُّ مصدراً كدائرة لجميع المعارف، وينبوعاً يغترف منه كلّ باحث عن أحوال العلماء لأنّ مؤلّفه الفذ لا يدع أحداً من الأعلام والمشاهير بل من له أدنى شهرة عند طائفة إلّا ضبطه وأتى بترجمته . فلذا كان نافعاً للمحدث والفقيه ، ومرغوباً عند الأديب والأريب ، ومرجعاً لكلّ باحث لبيب .

سلك مؤلّفه في الضبط والتدوين مسلك من تقدّمه وجاء بالتراجم على سبيل حروف المعجم مع أنّه راعى ذاك الترتيب في الكلمة الثانية أيضاً فلذا قدّم إبراهيم

على أحمد ، وهكذا ، وزاد في ذيل كلّ ترجمة ترجمة من يوافقه في الإسم من الرجال .

وأُعدت للكتاب الفهارس العامّة من ذكر الأعلام ، والأوطان، والكتب ، والأمكنة كي تساعد القارىء ، وتهدي الباحث ، وتتمّ به الفائدة .

أمّا المؤلـــف

فهو العالم المتبحر الواعي الخبير الرجالي السيّد مير محمّد باقر الموسوي الخوانساري الإصبهاني ابن الفقيه المتتبع الحاجّ ميرزا زين العابدين ابن المحدث الفقيه السيّد أبي القاسم الخوانساري ابن الفقيه الأصولي السيّد حسين الخوانساري ابن الفقيه المتبحر المير أبي القاسم جعفر المشتهر بالمير الكبير .

مولده ونشأتـــه

ولد ـ أعلى الله مقامه ـ في بلدة خوانسار ضحوة يوم الاثنين ٢٢ شهر صفر سنة ١٢٢٦ ـ ق ـ وأنشأه الله تعالى منشأ مباركاً في حجر العالمين الورعين جدّه وأبيه ، وترعرع في كلاءتهما، وبذل والده العلّامة غاية جهده ، واستفرغ وسعه في تأديبه وتهذيبه ، وبوّأه من علمه وتحقيقه مُبَوّأ صدق وزقّه من علوم الأوائل زقّاً يعرج به إلى درجة رفيعة . ثمَّ ارتحل مع والده إلى إصبهان ووقف على عدّة من الفطاحل والأساتذة المهرة البررة من علماء أصفهان كالمحقّق السيّد الصدر الدين العاملي ، والشيخ محمّد تقي الرازي الأصفهاني ـ صاحب الحاشية على المعالم ـ والسيّد محمد باقر الشفتي ، والحاجّ محمّد إبراهيم الكرباسي ـ صاحب الإشارات ـ والمير سيّد محمد الشهشهاني .

وفي حدود سنة ثلاث وخمسين ومئتين بعد الألف ١٢٥٣ ارتحل إلى النجف التي كانت منذ هاجر إليها شيخ الطائفة إلى الآن مهبط العلم ، وعاصمة الدين الإسلامي والمذهب الإمامي ، والجامعة العظمى تشدّ إليها الرحال ، وتخرج منها الأساتذة الأفذاذ في علوم شتّى الذين يستضيء بنور علمهم ألوف من الناس ـ صانها الله عن الحوادث ـ فتتلمذ عند الفقيه الأصولي السيّد إبراهيم الموسوي

القزويني ـ صاحب ضوابط الأصول ـ وعند صاحب الجواهر على ما نصّ عليه العلاّمة المغفور الشيخ محمّد رضا المظفّر في مقدّمته للطبعة الحديثة من الجواهر ص ٣ ما لفظه : ثمّ إنّ صاحب الروضات وهو ممن عاصر الشيخ وحضر درسه ـ إلخ ـ حتّى بلغ مرتبة الإجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية عن أدلّتها التفصيلية ، ونال من أساتذته ومشايخه إجازات فانصرف ـ رحمه الله ـ مفلحاً منجحاً .

مؤلفاتــه القيمــة

وللعلاّمة الخوانساري غير هذا الكتاب تأليفات رائقة في علوم شتّى وإليك عدّها :

١ ـ أحسن العطية في شرح الألفية للشهيد (مخطوط) .
٢ ـ قرّة العين وسرور النشأتين منظومة فارسية في أصول العقائد (مطبوع) .
٣ ـ تلويح النوريات من الكلام في تنقيح الضروريّات من الإسلام في ضروريّات الدين والمذهب .
٤ ـ رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
٥ ـ رسالة في أقسام البلايا .
٦ ـ رسالة في شرح حديث حماد .
٧ ـ رسالة في فضل الجماعة .
٨ ـ رسالة في دستور العمل للمكلّفين .
٩ ـ أرجوزة في أصول الفقه .
١٠ ـ تسلية الأحزان في فقد الأحبّة والإخوان بالفارسيّة (مطبوع) .
١١ ـ ترجمة رسالة الصوم لصاحب الجواهر .
١٢ ـ طرف الأخبار لتحف الأخيار .
١٣ ـ أدب اللسان بالفارسيّة .
١٤ ـ جواهر الآثار وجوائز الأبرار .
١٥ ـ رسالة في الخمس .
١٦ ـ رسالة في ترجمة آبائه وأسرته وعشيرته .

١٧ ـ رسالة في الفقه .
١٨ ـ تلخيص مجموعة ورّام .
١٩ ـ النهرية (مطبوع) .

وله تعليقات على بعض الكتب الفقهية والأصولية .

توفي ـ رحمه الله ـ في ليلة الإثنين ثامن شهر جمادي الأولى أحد شهور سنة ثلاث عشر وثلاث مئة بعد الألف ٨ ـ ج ـ ١ ـ ١٣١٣ بمرض ذات الرية وأقيمت له المآتم والتعازي في أكثر البلاد ، وأرخّ عام وفاته جماعة من الأدباء منهم الحاجّ الميرزا فتح الله :

قد طار من غرف الروضات طائرها
نحو الجنان وأبقى من مآثره
يا قبره كيف احتملت محاسنه
أم كيف واريت شطراً من مفاخره
قال المؤرخ في تاريخ رحلته
تعطّل العلم من فقدان باقره ١٣١٣

ومن أراد كثير اطّلاع على أسرته وأولاده ومكتبته وتلامذته وموقعيته الاجتماعية فلينظر مقدّمة نجله الفاضل السيّد أحمد الروضاتي على النهرية ، ونحن استفدنا في هذه الوجيزة منها ، وللمؤلف شكر متواصل غير مقطوع .

السيد محمد تقي الكشفي

ومن مصنّفاته : كتاب « رياض الدلائل وحياض المسائل » في الفقه ، وكأنّ صاحب . رياض المسائل في شرح النافع » اقتبس منه ذلك الإسم . وله « رسالة في عينيّة صلاة الجمعة » ردّاً على رسالة الشيخ سليمان بن عليّ بن أبي ظبية الشاخوري في حرمتها . و« رسالة في استقلال الأب بولاية البكر الرشيد » . و« رسالتان في المنطق » . و« رسالة في البداء » وغير ذلك .

ولا يذهب عليك أنّه غير الشيخ أحمد بن محمّد الأصبعيّ القاضي البحراني .

وغير الشيخ المعتمد الفقيه المجتهد الصرف النبيه أحمد بن إبراهيم والد شيخنا يوسف ـ رحمهما الله ـ صاحب « الحدائق » ، وكذا غير الشيخ أحمد بن صالح الدرازي الجهرميّ المسكن صاحب « الطبّ الأحمدي » و« رسالة الاستخارة » .

وإن تقاربوا جميعاً في النسب والزمان .

وقد توفي صاحب العنوان ـ رحمه الله ـ في حياة أبيه الشيخ محمّد مع أخوين آخرين له جليلين بطاعون العراق سنة اثنتين ومئة بعد الألف . ودفن هو ـ رحمه الله ـ بجوار الكاظمين (عليهما السلام) .

ثمّ إنّ البحرين ـ كما في « تلخيص الآثار » ـ ناحية بين البصرة وعمّان على ساحل البحر ، بها مغاص الدرر ، ودرّه أحسن الأنواع ، ينتهي إليها قفل الصدف في كلّ سنة من مجمع البحرين ؛ يحمل الصدف بالدرّ منه إليها ؛ وليس لأحد من الملوك مثل هذه الغلّة . من سكن بالبحرين عظم طحاله وانتفخ بطنه .

قلت : وأهل البحرين قديمة التشيّع متصلّبون في أمر الدين ، خرج منها من علمائنا الأبرار جمّ غفير . وفي الأمثال المشهورات : خرّب الله بلاد البحرين وعمّر إصفهان كي لا يخلو من أهل الأوّل أحد ولا يقع في بلد من أهل الثاني ديّار ! .

و« خط » قرية باليمامة يقال لها : خطّ هجر ، ينسب إليها الرماح الخطيّة .

« وهَجَر » : مدينة كبيرة قاعدة بلاد البحرين ، ذات النخل والرّمان والأترج والقطن . قال النبيُّ (صلّى الله عليه وآله) : « إذا بلغ الماء قلّتين لم يحمل خبثاً » أراد بهما قِلال هجر ، يسعها خمس مئة رطل .

وإليها ينسب رشيد الهجريُّ الّذي هو في درجة ميثم التمّار ، ومن جملة حاملي أسرار أمير المؤمنين (عليه السلام) .

٢٢

ترجمان الحكماء المتألهين ولسان العرفاء والمتكلمين ، غرة الدهر وفيلسوف العصر ، العالم بأسرار المباني والمعاني ، شيخنا أحمد بن الشيخ زين الدين بن الشيخ إبراهيم الاحسائي البحراني

لم يعهد في هذه الأواخر مثله في المعرفة والفهم ، والمكرمة والحزم ، وجودة السليقة ، وحسن الطريقة ، وصفاء الحقيقة ، وكثرة المعنويّة ، والعلم بالعربيّة ، والأخلاق السنيّة ، والشيم المرضيّة ، والحكم العلميّة والعمليّة ، وحسن التعبير والفصاحة ولطف التقرير والملاحة ، وخلوص المحبّة والوداد ؛ لأهل بيت الرسول الأمجاد ، بحيث يرمى عند بعض أهل الظاهر من علمائنا بالإفراط والغلوّ ؛ مع أنّه ـ لا شكّ ـ من أهل الجلالة والعلوّ .

وقد رأيت صورة إجازة سيّدنا صاحب « الدرّة » ـ أجزل الله تعالى برّه ـ لأجله ، مفصحة عن غاية جلالته وفضله ونبله .

ورد بلاد العجم في أواسط عمره ، وكان بها في نهاية القرب من ملوكها وأربابها . وكان أكثر مقامه فيها بدار العبادة يزد . ثمّ انتقل منها إلى أصفهان ، وتوقّف فيها أيضاً برهة من الزمان .

ولمّا أراد أن يرجع إلى أصله الّذي كان في وصل الحسين (عليه السلام) وورد بلدة قرميسين ـ الّتي هي واقعة في البين ـ استدعى منه الوقوف بها أميرها العادل الكبير المغوار المغيار محمّد علي ميرزا بن السلطان فتح علي شاه قاجار . فأجابه إلى ذلك ـ لما استلزمه من المصالح أو صرف المهالك ـ إلى أن توفّى الوالي المذكور في سفر منه إلى حرب بغداد ، وآل الأمر في تلك المملكة إلى الفتنة والفساد .

فارتحل منها إلى أرض الحائر الشريف ، ليصرف فيها بقيّة عمره الطريف ويجمع أمره على التصنيف والتأليف ، والقيام بحقّ التكليف . هذا .

ومن مصنّفاته : كتاب « شرح الزيارة الجامعة الكبيرة » ، وهو مبسوط كبير ينوف على ثلاثين ألف بيت ، مشتمل على أفكاره السديدة ، وأنظاره الحديدة ، واستنباطاته الحميدة ، واصطلاحاته الجديدة . وكتاب « الفوائد » وشرحه في الحكمة والكلام . وكتاب « شرح الحكمة العرشيّة » للمولى صدراً . و« شرح المشاعر » له أيضاً . و« شرح التبصرة » للعلّامة ـ أعلى الله مقامه ـ غير تامّ . و« كتاب في أحكام الكفّار » بأقسامهم قبل الإسلام وبعده . و« رسالة في نفي كون الكتب الأربعة قطعيّة الصدور من المعصوم » ـ كما هو مذهب الأخباريّين ـ ومسائل أخر في ضمنه . و« رسالة في مباحث الألفاظ » من الأصول . و« رسالة في أنّ القضاء بالأمر الأوّل » . و« رسالة في تحقيق القول بالاجتهاد والتقليد وبعض مسائل الفقه » . و« رسالة في تحقيق الجواهر الخمسة والأربعة عند الحكماء والمتكلّمين والأجسام الثلاثة والأعراض الأربعة والعشرين وعن مادّة الحوادث ، وبعض مسائل الفقه أيضاً » . و« رسالة في جواز تقليد غير الأعلم وبعض مسائل الفقه أيضاً » . و« رسالة في بيان حقيقة العقل والروح والنفس بمراتبها » . و« رسالة في معنى الإمكان والعلم والمشيّة وغيرها » . و« رسالة الخاقانيّة » في جواب مسألة السلطان فتح عليشاه عن سرّ أفضليّة القائم (عليه السلام) من الأئمّة الثمانية . و« رسالة في شرح علم الصناعة والفلسفة وأطوارها وأحوالها » . و« رسالة أخرى في شرح أبيات الشيخ عليّ بن عبد الله بن فارس في علم الصناعة » . و« رسالتان في بيان علم الحروف والجفر وأنحاء البسط والتكسير ومعرفة ميزان الحروف » . و« رسالة في جواب سؤال بعض العارفين » أنّ المصلّي حين يقول : « إيّاك نعبد وإيّاك نستعين » كيف يقصد المخاطب ؟ ، وبيان أنّ المخاطب بهما وبغيرهما من الضمائر الراجعة إليه ـ تعالى ـ إنّما هو ذاته الأقدس ، لا غير . و« رسالة في البداء وأحكام اللّوحين » . ورسالة في شرح سورة التوحيد » . و« رسالة في كيفيّة السير والسلوك الموصلين إلى درجات القرب والزلفى » وكتاب « جواب المسائل التوبليّة » الّتي سألها عنه الشيخ عبد علي التوبليُّ ، وهو كبير جدّاً ، متضمّن لتطبيق الباطن مع الظاهر وتحقيق القول بالإنسان الكبير

والصغير ، بل ولبيان كثير من مراتب العرفان ، والردّ على فرق الصوفيّة الباطلة ، وبيان الطريقة الحقّة ، والكشف عن العوالم الخمسة[1] وتفسير الحروف المقطّعة في فواتح السور ، وغير ذلك من معضلات الكتاب والسنّة . ورسالة سمّاها « حياة النفس إلى حضرة القدس في المعارف الخمس » . وكتاب « الجنّة والنّار » وتفاصيل أحكامهما . و« رسالة في حجيّة الإجماع وحجيّة أحكامه السبعة وحجيّة الشهرة . وكتاب « أسرار الصلاة » . و« مختصر في الدعاء » . وشرح على مبحث حكم ذي الرأسين من كتاب كشف الغطاء» . و« رسالة الشاه » . و« الرسالة الحيدريّة في المفروع الفقهيّة » . و« مختصر منها في الطهارة والصلاة » . و« المسائل القطيفيّة » . و« المقالة الصوفيّة » . و« رسالة في أصول الدين » بالفارسيّة .

إلى تمام مئة رسالة وكتاب في أجوبة لمسائل من كلّ باب ، نخرج بتفصيلها عن وضع كتابنا هذا .

وكان ـ رحمه الله ـ شديد الإنكار على طريقة المتصوّفة الموهونة . بل على طريقة الفيض في العرفان ، بحيث قد ينسب إليه أنّه يكفّره ! .

وقد يذكر في حقّه أيضاً أنّه كان ماهراً في أغلب العلوم ، بل واقفاً على جملة من الحرف والرسوم ، وعارفاً بالطبّ والقراءة والرياضيّ والنجوم ، ومدّعياً لعلم الصنعة والأعداد والطلسمات ونظائرها من الأمر المكتوم ؛ بل الوصول إلى خدمة حضرة الحجّة القائم المعصوم . والعهدة في كلّ ذلك عليه . ـ أرسل الله شآبيب رحمته إلينا وإليه ـ .

وله ـ رحمه الله ـ أيضاً تعليقات وقيود وتوضيحات على جملة من الأخبار والخطب والمصنّفات ، وشعر كثير ؛ بل « ديوان شعر » كبير ، ومراثٍ كثيرة في أهل البيت ، وقصائد فاخرة في مدحهم على أكمل نظام . ذكر جملة منها تلميذه الواعظ العارف الصالح الكامل الإيمانيُّ مولانا حسين بن مؤمن اليزديُّ الكرمانيُّ في كتبه الكثيرة الفارسيّة في المقتل والنصيحة .

وذكره المحدّث النيسابوريُّ أيضاً في رجاله ، فقال : أحمد بن زين الدّين

(١) وهي الزماني ، والدهري ، والسرمدي ، والبرزخي ، والحشري . منه .

الأحسائيُّ القاري ، فقيه محدث عارف وحيد في معرفة الأصول الدينيّة . له رسائل وثيقة اجتمعنا معه في مشهد الحسين (عليه السلام) ، لا شكَّ في ثقته وجلالتـه ، إن شاء الله . إنتهى .

ولـه الروايـة أيضاً عن سيّـدنا الفقيـه الأوحد الأمـير سيّد عـلي الطبـاطبائي صاحب « الرياض » ، وعن الأفقه الأفخـر الشيخ جعفـر النجفي ، وعن الأميرزا مهدي الشهرستاني ، وعن جماعة من علماء القطيف والبحرين ؛ مذكورة في سلسلة إجازاته .

ويروي عنه أيضاً بالإجازة وغيرهـا جماعـة ، منهم : شيخنا المعـاصر المتقدّم ذكره الشريف ـ صاحب كتاب « الإشارات » في الأصول وغيره ـ .

وكان له أيضاً ولدان فـاضلان مجتهـدان ، سميّا : محمـداً ، وعليّاً ؛ إلاّ أنّ الشيـخ محمّد ولـده الفاضـل ـ الأكبر ظـاهراً ـ كـان ينكر عـلى طـريقـة أبيـه أشـدّ الإنكار ، نظير إنكار الميرزا إبراهيم بن المولى صدراً على أبيه ، ويقـول عند ذكـر ما كان له ـ رحمه الله ـ : « كذا فهم ـ عفـا الله تعالى عنه ـ ! » ، كما بالبال .

وقد يحكى أيضاً أنّ الحكيم المتأله المحقّق النوريَّ المعاصر ـ أيضاً ـ كان ينكر فضله ، بل كونه في عداد الفضلاء .

إلاّ أنّ تلميـذه العزيـز ـ ، وقـدوة أربـاب الفهم والتمييـز ، بـل قـرّة عينـه الزاهرة ، وقوّة قلبه الباهرة الفاخرة ، بل حليفه في شدائده ومحنه ، ومن كان بمنزلة القميص على بدنـه ؛ أعني السيّد الفـاضل الجـامع البـارع الجليل الحـازم ، سليل الأجلّة السـادة القادة الأفـاخم الأعاظم ، ابن الأمـير سيّد قـاسم الحسيني الجيلاني الرشتي ؛ الحاجّ سيّد كاظم ، النائب في الأمور منابه ، وإمام أصحابـه المقتدين بـه بـالحائـر المطهّـر الشريف إلى زماننـا هذا صـاحب « اللّوامع الحسينيّـة » و« الحجّـة البالغة والمحجّة الدامغة » ، و« مقامات العارفين » ، و« أسرار الشهادة » ، وكتاب « أسرار العبـادات » ، و« شرح دعـاء السـمات » ، و« شرح لقصيـدة البـائيّـة من شذور الذهب » و« اللاميّة في مدح الكاظم (عليـه السلام) » و« رسـالة في وجـود الجنّ وحقيقتهم وما يتعلّق بهم » وكتاب في « شرح الكلمات المنسوبة إلى فخر الدين الرازي في التوحيد » ، وكتاب « علم الأخلاق والسلوك » ، و« الرسـالة في أجـوبة

المسـائل الّتي أتت إليـه من بعض العلماء في مراتب التـوحيد » : إلى غـير ذلك من الرسائل في أجوبة المسائل ، وغيرها . الّتي تقرب من مئة وخمسين رسـالة منفـردة ؛ كما استفيد من فهرست نفسه لها في كتابه الآخر المسمّى بـ « دليل المتحيّرين وإرشاد المسترشدين » ـ .

لقد أطرى وأفرط في الثناء على هذا الشيخ ، وتفضيله على من كـان في عصره من الأفاضل المشهـورين ، وادّعائـه الإجماع منهم عـلى ثقته وفضله وجـلالة قـدره ونبله ؛ تعريضاً على من أنكر طريقته من القوم ، وإلحاقاً له بالمعدوم .

وقد ذكر في وصفه أنّه كـان في جميع مـا يتخيّل من المـراتب والأفانـين ـ حتّى الفقه والأصول والـرجال والحـديث والعلوم الغريبـة بأسرهـا والعربيّـة برمّتهـا من أعلمهم بالجميع ، وأبدعهم لكلّ بديع .

ومن جملة مـا ذكره فيـه : أنّه لمّـا وصل الشيـخ المرحـوم إلى بلدة إصفهان . وخصّ بـأفاضـل التحيّة والتكـريم من علمائهـا الأعيـان ـ وكنـت إذ ذاك بحضرتـه العالية ـ سُئل المولى الأعلى الملاّ عليُّ النوريُّ عن نسبة مقامه مع مقام المرحـوم الآقا محمّد البيدآبادي . فأجاب المرحوم بأنّ « التمييز بينهما لا يكون إلاّ بعد بلوغ المميّز مقامهما ، وأين أنا من ذاك » .

ثمّ ذكر في ذيل مـا بسطه من تفصيـل أحوالـه ومحامـد خصالـه : أنّه لمّـا بلغ الشقاق والنفاق ـ بينه وبين من خالفه من فضلاء العراق ـ مبلغه الوافي ، ولم يمكنـه دفع ذلك بوجه يدفع به كلّ التنافي ؛ فلم يجد بدّاً من عرض عقـائده الحقّـة لهم في ناديهم ، ورفع ما احتمل وروده عليه بأحسن ما أمكن أن يقبله من غير أعـاديهم ، وسأل عنهم السؤال عنه فيما يشتهون ، والجلوس معه كما يريدون ، ومـع ذلك فهم لم يلتفتوا إلى قوله ، ولم يصغوا إلى كلامه ، وأصرّوا واستكبروا استكباراً ، وازدادوا عتوّاً وعناداً ، بـل كتبوا إلى رؤسـاء البلدان وأهل الحـلّ والعقد من الأعيـان : أنّ الشيخ أحمد كذا وكذا اعتقاده . فشوّشوا قلوب الناس وجعلوهم في الالتباس .

ولم يكفهم ذلك حتّى أنّهم أخذوا الجزء الرابع من « شرح الزيـارة » وأتوا بـه إلى وزير بغداد ـ وفيها من مطاعن الخلفاء ومثالبهم ما شاء الله ـ ، وقد كان ـ رحمه الله ـ قـد ذكـر في هـذا الجـزء : حكـايـة حسن بن حيص بيص ديـك الجنّ مـع

المتوكّل ، والأبيات الّتي أنشدها في محضر منه لإثبات كفرهم القديم . ثم أروه ورقة أخرى ، وفيها تزويرهم ومكرهم ونسبة القول إلى مولانا وسيّدنا أنّ أمير المؤمنين عليّاً (عليه السلام) هو الخالق والرازق والمحيي والمميت ؛ قاصدين أن لا يبقى للشيخ ـ أعلى الله مقامه ـ باقية ، بل افتروا لأجله كلَّ الشيعة . وهذا بعينه قول ابن الزبير في وقعة الجمل : اقتلوني ومالكاً .

ثمّ لما دخل الضرر على جميع الشيعة بذلك اغتمَّ غمّاً شديداً عليهم وعلى نفسه وكان يترقّب وقوع البليّة في كلّ ساعة ودقيقة ، إلى أن لم يتمكّن من القرار ، ولم يسعه الاستقرار ، واقتضى له العلم والتكليف الإلهيّ الفرار ، ولّما كان الفرار إلى الله سبحانه وتعالى هو الأمان من كلّ مخوف ؛ فرّ إلى الله ممتثلاً لأمره ، فقصد حجّ بيت الله خوفاً من فراعنة هذه الأمّة ، مقتدياً بسيّد الشهداء (عليه السلام) حيث فرَّ منهم إلى بيت الله الحرام ، وسار بأهله وعياله وأبنائه وزوجاته ، وباع كلّ ما عندهم من المصاغ والحليّ والضياع ، مع ضعف بنيته ونفاد قوّته وكبر سنّه وشدّة خوفه . فلمّا بلغ بهم إلى منزل هَدَبيّة ـ وهي عن المدينة المنوّرة بثلاث مراحل ـ أتته رسل الله سبحانه ، ودعته إلى جوار الله ، ونادته : « حيَّ على الفلاح ! » . فهبّت عليه الريح المشوّقة ، فشوّقته إلى لقاء الله تعالى ، ثمّ هبّت عليه الريح المسخية ، فأسخته لبذل الروح في محبّة الله تعالى . فانتقل من هذا المحبس المضيق إلى الفضاء الأوسع الفسيح واتّصل بأحبّته ، وبلغ أقصى الغاية في مؤانسته ، واستراح من كرب الدنيا ومحنتها ، ومن المهالك وزحمتها ومن كدورتها وفتنتها ؛ واستبدل بأحباب يستأنس بهم وأصحاب لا يفارقونه ولا يفارقهم ، واتّصل فراره بالفرار الحقيقي وكان قاصداً بيت الله الظاهريّ فوصل البيت المعمور الحقيقيَّ . فلم يزل طائفاً حول ذلك البيت ، ورامقاً طرفه إلى نور التجلّي للمصباح المتوقّد من نار الشجرة الّتي ليست شرقيّة ولا غربيّة ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار . انتهى .

وأقول : قد كان وقوع تلك الداهية العظمى ، والواقعة الكبرى في أوائل سنة ثلاث وأربعين ومئتين بعد ألف هجريّة ، وذلك حيث طعن في سنّه ، وقرب من التسعين الهلاليّة ، وابيضّت فيه من الهرم الرأس واللحية ؛

وقد دفن بالمدينة المشرّفة في جوار أئمّة البقيع (عليهم السلام) ، وقام بمراسم عزائه أكثر أهل الإسلام ، وجلس له صاحب « الإشارات » و« المنهاج » بأصفهان ثلاثة أيام وحضر مجلسه في تلك الثلاثة من الخاصّ والعامّ .

وقد مضت الإشارة إلى ترجمة البحرين في ذيل ترجمة أحمد بن محمّد بن يوسف ، المتقدّم هنا قريباً . فليراجع إن شاء الله .

٢٣
فحل الفحول وفخر أهل المعقول والمنقول العارج إلى ذروة معارج الرفعة والتراقي الحاج مولانا أحمد بن مهدي بن أبي ذر ، الكاشاني ، النراقي

كان بحراً موّاجاً ، ويمّاً عجّاجاً ، وأستاذاً ماهراً ، وعماداً كابراً ، وأديباً شاعراً من كبراء الدين وعظماء المجتهدين ، وقد صار بالعلم مليّاً ، وأوتي الحكم صبيّاً . وكان له جامعيّة لأكثر العلوم ، وخصوصاً الأصول والفقه والرياضيّ والنجوم .

وكان رجلاً كبيراً ، عظيم الجثّة والمنزلة ، بطيناً مبتدناً في الغاية ، وقوراً غيوراً صاحب شفقة على الرعيّة والضعفاء وهمّة عالية في كفاية مؤوناتهم وتحمّل أعبائهم وزحماتهم .

وتصنيفاته الفائقة وتأليفاته الرائقة أيضاً كثيرة جدّاً ، لم يكد يقرب منها أو يشبهها أحد من مؤلفات أترابه .

فمنها : شرحه على « تجريد الأصول » من أبيه العلّامة ، في مجلّدات غفيرة جمّة . وشرحه أيضاً على كتاب له ـ رحمه الله ـ في الحساب وشرحه على كتابه المسمّى بـ « جامع السعادات » بالفارسيّة ، سمّاه « معراج السعادة » . وكتاب « مناهج الوصول إلى علم الأصول » في مجلّدين . وكتاب آخر له سمّاه بـ « عين الأصول » كتبه في مبادي أمره . وكتاب « أساس الأحكام في تنقيح عُمَد مسائل الأصول بالإحكام » . وكتاب « عوائد الأيّام » في مستطرفات تمام عمره الشريف